تفسير ابن كثير

هذه إحدى الايات الثلاث التي لا رابع لهن مما أمر ا تعالى رسوله صلى ا عليه وسلّم أن يقسم بربه العظيم على وقع : المعاد لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد فإحداهن في سورة يونس عليه السلام وهي قوله تعالى : { ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين } والثانية هذه { وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم } والثالثة في سورة التغابن وهي قوله تعالى : { زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على ا يسير } فقال تعالى : { قل بلى وربي لتأتينكم } ثم وصفه بما يؤكد ذلك ويقرره فقال : { عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين } قال مجاهد وقتادة : لا يعزب عنه لا يغيب عنه أي الجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه شيء فالعظام وإن تلاشت وتفرقت وتمزقت فهو عالم أين ذهبت أين تفرقت ثم يعيدها كما بدأها أول مرة فإنه بكل شيء عليم ثم بين حكمته في إعادة الأبدان وقيام الساعة بقوله تعالى : { ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم * والذين سعوا في آياتنا معاجزين } أي سعوا في الصد عن سبيل ا تعالى وتكذيب رسله { أولئك لهم عذاب من رجز أليم } أي لينعم السعداء من المؤمنين ويعذب الأشقياء من الكافرين كما قال D : { لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون } وقال تعالى : { أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار } .

وقوله تعالى : { ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق } هذه حكمة أخرى معطوفة على التي قبلها وهي أن المؤمنين بما أنزل على الرسل إذا شاهدوا قيام الساعة ومجازاة الأبرار والفجار بالذي كانوا قد علموه من كتب ا تعالى في الدنيا رأوه حينئذ عين اليقين ويقولون يؤمئذ أيضا { لقد جاءت رسل ربنا بالحق } يقال أيضا { هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون } { لقد لبثتم في كتاب ا إلى يوم البعث فهذا يوم البعث } { ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد } العزيز هو المنيع الجناب الذي لا يغالب ولا يمانع بل قد قهر كل شيء وغلبه الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وهو المحمود في ذلك كله جل وعلا